من صور الحياة العلمية في الكويت

رسائل الخطبة والخطيب «٣»

الخطب الجمعية

في المواعظ الأسبوعية

تأليف فضيلة الشيخ

محمد أحمد الفارسي

رحمه الله

ت/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الجزء الثاني

إصدار

مكتب الشؤون الفنية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

Scanned with CamScanner

مولد منقذ الإنسانية، سيدنا محمد ﷺ

الحمد للَّه الذي ستر بستره وأجمل، الشكور الذي غمر ببره وأجزل، الذي أتم إحسانه على المؤمنين وأكمل، أحمده سبحانه، أن وفقنا بفضله لحمده، وأهلْ.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، شهادة عبد خضع لهيبته وتذلل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي ختم اللَّه به رسله، وأكمل، وأيده بأعظم كتاب عليه أنزل، والكفر قد عم الأرض وجلل، فقام بأمر مولاه وتبتَّل، فأزهق الباطل وأبطل، وقاتل من حرف وبدل، اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه البررة الخيرَةَ الكُمَّل.

أمّا بعد:

أيها المسلمون، اتقوا اللَّه وأطيعوه.

قال اللَّه تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤].

في فجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل عام الفيل، أو لتسع ليال مضت منه، كما يذهب إليه الكثير من الباحثين، في هذه اللحظات الخالدة، في تاريخ البشرية، وُلِدَ محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.

وُلِدَ الطفل الذي هتفت بذكره الأرجاء، وسجل مواقفه الرائعة التاريخ،

Scanned with CamScanner

وأنصتت لحديثه الدنيا، واهتزت لأنباء جهاده، في بلاد العرب وما حولها، الأمراء والملوك، والأكاسرة والقياصرة، وآمنت بمبادئه وكبرت لشريعته الحياة، والناس أجمعون.

ولقد ألهم اللّه أمه آمنة، أن مصير العالم سيكون بعد قليل، في يدي طفلها الوليد هذا، وأن عصوراً جديدة، توشك أن تبدأ، ويكون بَطَلها الأول، محمدٌ بن عبد اللّه، ﷺ، فأرسلت إلى جده عبد المطلب، أنه قد ولد لك غلام، فأتاه ونظر إليه، فأخذ عبد المطلب طفله، ودخل به الكعبة، وقام يدعو اللّه، ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها، وقال لها: لقد سميته محمداً، ليُحمَدَ في الأرض والسماء.

وفي اليوم السابع لمولده ختنه جده عبد المطلب، كما كان العرب يفعلون، وأقام الغلام مع أمه في كلاءة اللّه وحفظه، ينبته اللّه نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ ست سنين، توفيت آمه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قد قدمت به إلى المدينة المنورة، على أخواله من بني النجار.

واستمر في كفالة جده عبد المطلب، يرعاه ويحبه، ولما بلغ الغلام ثماني سنين، مات جده عبد المطلب، وورث مفاخره ابنه العباس، وصار محمد ﷺ، بعد عبد المطلب في كفالة عمه أبي طالب، وكان أبو طالب سيداً، من أجل سادات قريش وبني هاشم.

وكان الناس يتنبأون أمامه بمستقبل جليل، لهذا الغلام الصغير، وحفظ اللّه محمداً ﷺ، وعصمه من أقذار الجاهلية، وصار أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً،

وأصدقهم حديثاً، وأبعدهم عن الفحش والدنس، وأكثرهم أمانةً، حتى سماه قومه الأمين.

وكان يعبد اللَّه على الحنيفية البيضاء، دين إبراهيم وإسماعيل، ويتعبد في غار حراء، الليالي ذوات العدد، فلما بلغ أربعين سنة، اختاره اللَّه لرسالته العظمى، ونزل عليه جبريل بالوحي، وهو في حراء، يوم الاثنين لسبعة عشرة ليلة خلت من رمضان.

قال له جبريل: اقرأ، فقال: «ما أنا بقارئ»، قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ١ - ٥]». وسمع الصوت مجلجلًا في السماء يا محمد أنت رسول اللَّه، وأنا جبريل.

وبلَّغ محمد ﷺ قومه رسالة ربه، فآمن من آمن، وجحد من جحد، وظلَّ يدعو إلى اللَّه سرّاً، وهو في قومه ثلاث سنين، أجابه فيها عدد قليل، من الرجال والنِّساء والأطفال، ثم جهر بالدعوة، وصمد لإيذاء قريش، عشرة أعوام أخرى.

ثم هاجر من مكة إلى المدينة، مبشراً بدين اللَّه، وداعياً إلى شريعة الإسلام، والحق والخير والمساواة، وانتصر -عليه الصلاة والسلام- في المدينة في معارك كثيرة، انتصر في حربه مع المنافقين واليهود، والذين يعملون على وأد الإسلام، دعوة الحرية والطهارة والسلام.

وانتصر في حربه مع الشرك والوثنية، ففتح مكة، وحطَّم الأصنام والأوثان، وجعل كلمة اللَّه، والتوحيد هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

Scanned with CamScanner

وانتصر في الميدان السياسي انتصاراً باهراً، فجمع العرب كلها، في وحدة واحدة، وتحت ظلال سياسية إسلامية كريمة، فألف بين القلوب، وداوى المزمن من الأمراض، وأقام اشتراكية بارعة، تجمع بين الغني والفقير، برباط المحبة والتعاون والإخاء.

وأقام عليه الصلاة والسلام المجتمع الإسلامي، على أصول متينة قويَّة، لا يعتريها الضعف والوهن، وحارب الفقر والجهل، ودعا إلى أنبل الأخلاق، وأسمى الفضائل وأكرم الأعمال.

وقضى على الفساد، في مختلف ألوانه، وطهَّر الحياة من الأدران والآثام، والفوضى والاستغلال، ونشر دين اللَّه، وبشر بكتاب اللَّه ورسالته، ووجه العرب لدعوة الأمم إلى هذه الشريعة المطهرة، فلم تمض أعوام قلائل، بعد وفاته حتى فتحوا الشام، ومصر والعراق، وبلاد فارس.

ثم أخذوا يسيحون فيما وراء هذه الأقطار، داعين إلى كلمة اللَّه، محطِّمين للأغلال، والوثنية والشرك، والاستعباد، ناشرين العدالة بين كافة الأمم، مضحين بكل عزيز لديهم، في سبيل إنقاذ البشرية، وهداية الإنسانية، كل ذلك بدافع الإخلاص للَّه، ولرسوله الكريم، ولكتابه الحكيم، فما أعظم هذا الرسول العربي الأمي، الذي بدل سَيْر التاريخ، وحوَّل مجرى الحياة، وقضى على عصور الوحشة، والجاهلية المظلمة، صلى اللَّه عليه، وعلى آله وصحبه، ما أضاء النهار، وأظلم الليل، وهدى به أمته إلى خير الأعمال والعقائد، وإلى سعادة الأولى والآخرة، إنه أكرم مأمول وأجل مسؤول.

اللَّهم سلمنا من الأهوال، وآمنا من الفزع والزلزال، وارزقنا الاستعداد لما

وعدتنا، وأدم لنا إحسانك ومعروفك كما عوَّدتنا، وأتمم علينا نعمتك وفضلك، ومنتك، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين يا أرحم الراحمين.

الثانية بمناسبة الأولى

الحمد للّه الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتدي لولا هدانا اللّه، وما توفيقي ولا اعتصامي وثقتي إلا باللّه، عليه توكلت وإليه أنيب، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده البر الرحيم، وأشهد أن سيدنا محمداً، عبده ورسوله النبي الكريم، اللّهم صل وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الهداة المرشدين.

أما بعد:

فيا عباد اللّه، أوصيكم ونفسي أولًا بتقوى اللّه وطاعته، لما هاجر النبي ﷺ، وأصحابه إلى المدينة، فعل أمراً عجيباً، ذلك أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، اثنين اثنين، وكانت هذه الأخوة الدينية، بمنزلة الأخوة في النسب بما يتناصرون ويتوارثون، حتى انتشر الإسلام وكثر المسلمون، فجعل اللّه الإرث بالقرابة، حيث قال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وكان عمله هذا سياسة بارعة موفقة في توثيق عرى الأخوة والمحبة بين المهاجرين والأنصار، فيتعاونون ويتراحمون، ويصيرون قوّة لا يستهان بها، أمام أعدائهم المجاورين من اليهود ألَا أن هذه السياسة الحكيمة المؤيدة من اللّه لن تكون إلَّا من مثل سيدنا محمد ﷺ، الذي وهبه اللّه عقلًا كبيراً، وقلباً رحيماً، وخلقاً

Scanned with CamScanner

رحيباً، وفطرةً سليمة، تسمو عن النظير.

هذا قُل من كُثر مما زخرت به السيرة المحمدية من ألوان السياسة العبقرية، وقد كان خريج هذه السياسة المحمدية الرشيدة، السادة البهاليل أبو بكر، وعمر، وخالد، وأبو عبيدة، والمقداد، وأضرابهم من دهاة الحروب، وأساطين السياسة، الذين رفعوا شأن الإسلام، ووسعوا رقعته، وتركوا ذكراً عطراً لا تزال الدنيا تردده بالإعجاب والإكبار.

ثم اعلموا، أن الله صلى على نبيه قديماً، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

* * *